(( **أسير في المسجد** ))

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

(( الأولى ))

الأسير مع البشير النذير ..

أسيرٌ في المسجد ، فمن هو هذا الأسير ؟

ومن أسره ؟ وأين ؟ ومتى ؟

إنّه الصحابي الجليل أبو أمامة ثمامة بن أثال

سيدٌ من سادات العرب ، وسيد أهل اليمامة ، وأحد الملوك الذين كَتَبَ لهم النبي كتابا يدعوهم للإسلام، فلما قرأ الرسالة سخر بها وبمن كتبها وأخذته العزة بالإثم ، وأصم أذنيه عن سماع الحق وأعرض عنه ، وسوّلت له نفسه أملاً وبيلاً ، ولعب به الشيطان ذات اليمين وذات الشمال ، وكشّر أنيابه على حرب الإسلام وأهله ، ودار الزمان دورته ، وبَعَثَ رَسُولُ اللهِ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، (ووقع سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ ، وجيء به مقيداً أسيراً ، وَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ) فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ، (فلمّا رآه قال لأصحابه الأبطال : أتدرون من أخذتم ؟ قالوا: لا يا رسول الله ، فقال : هذا ثمامة بن أثال، فأحسنوا أسره ، أكرموه وأطعموه وأحسنوا معاملته) وتركه أسيراً في المسجد يرى المسلمين في صلاتهم وعبادتهم ، وحسن أخلاقهم ، وتعاملهم ، ثمّ أتاه النبي وهو في الأسر في المسجد ، ودار هذا الحوار العظيم بينهما فقال : «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ بلسان الإعجاب والكبرياء : عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ بلسان الرحمة واللطف : «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، عجب الصحابةُ من كبريائه ، وثباته على الكفر والضلال ، وبعد هذه الردود العنيفة ، وغلظة الخطاب من ثمامة ، هل قَالَ : اقتلوه ، وعذّبوه ، كلا بأبي هو وأمي ، بل قال: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» ولم يطلب منه الفداء، بل قال لأصحابه ، فكوا أسره، وأطلقوا ثمامة (موقف عظيمٌ غريب ، قاتِلٌ نكَّل بأصحابه، وخطط لاغتياله ثم أكرمه ، وأطعمه الطعام ، وأنال له الكلام ، ثم عفا عنه )

بُعِثَ الحَبِيبُ إلى البريّة رحمةً

ومُتَمِّمّاً لمكارم الأخلاق

جَعَلَ التَّسَامُحَ والمَوَدَّةَ دِينَهُ

والعفو عند الله دوماً باقي

صلى عليه اللهُ ما غيثٌ هما

مسترسلاً من مزنة الدفّاق

فَانْطَلَقَ ثمامة منبهراً من هول ما رأى من كرم الخلق المحمدي ، والعفو النبوي ، والحكمة ، والدعوة بالتي هي أحسن ، فانطلق ثمامةُ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ بعد ما ألقى الكفر والكبرياء ، والجاهلية وراءه ظهرياً ، فوقف بين يدي رسول الله فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وبكى ثمامة بكاء الندم ، وقال : يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ، مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فخرج ثمامة من عند رسول الله وقد خالط الإيمان بشاشة قلبه ، وتحول ثمامة بن أثال إلى جبل من التقوى، ورجل يحمل المهام العظام، وينصر رسالة الإسلام.

خرج ثمامة من عند رسول الله بروح جديدة، ونفس تواقة، وهمة عالية، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ، فَقَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ، وَلَا وَاللهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ،

الله أكبر هكذا يصنع الإيمان فداءً وتضحيةً ، في لحظات بل في طرفة عين انقلب البعض حبا ، والبراء والولاء ، والغدر وفاء .

إنه الخلق النبوي ، الذي زكاه الله به بثلاثة أقسام ربانية متوالية مؤكدة : ﭽ ﮉﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ القلم: ١ - ٤

عباد الله أرأيتم إلى ثمامة بن أثال الذي تأصل البغض والعداء لرسوله في فؤاده وجوارحه، كيف انقلب هذا العداء والبغض إلى حبٍّ عظيم ، فجعل يعبّر عن مشارعه ، ويكشف عن ما يَكنّه فؤاده ، ويقول: والله يا محمد ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك وأصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي.

لقد وقع ثمامة في الأسر وجيء به إلى مسجد رسول الله ، وأسر في المسجد ، ليرى بعينيه، ويسمع بأذنيه عظمة هذا الدين الحنيف ، يرى الخلق العظيم ، والخشوع الكامل ، والأدب الجم يرى رجالا ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭬ ﭼ الفتح: ٢٩ .

لقد قاد الرفق واللين ، هذا الصحابي الهمام إلى العزة والإسلام ، وصدق وهو يقول لعائشة< : [ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ ] أخرجه مسلم .

إنّه الخلق العظيم ، إنها القدوة الحسنة ، لقد نجح النبي يوم جعل من في الحفاة العراء جيلا قرآنيا فريدا لم تعرف البشرية له مثيلا .

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم**

(( الثانية ))

قصَّةٌ عظيمةٌ، وحادثةٌ مؤثرةٌ، فيها الكثير من الدروس والعبر، الدرس الأول:

1/ ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ الأنبياء: ١٠٧

هكذا كان رسول الله رحمةً مهداةً ونعمةً مسداة، لا للموحِّدين فحسب، بل للعالمين أجمع.

لم يكن متجبرًا متسلطًا، ولا متعطشًا لسفك الدماء ، ولا منتقماً لنفسه قطّ ،

تأملوا كيف تحَوَّل ثمامةُ من عدوٍّ لدود إلى صحابيٍّ حبيبٍ ودود .

كم نحن بحاجةٍ إلى الرفق في تعليمنا ودعوتنا ، الرفق في نصحنا وتربيتنا ؟ فالرفق والإحسان يفتح القلوب المغلقة ، ويروّض النفوس العاتية .

دعونا نختم بهذا الموقف النبوي الذي يرويه زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ فيقول قبل إسلامه: لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ شيء إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا فَكُنْتُ قد أقرضته قرضاً ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحَلِّ الْأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلَا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ قَالَ وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ مَا أَسْمَعُ وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ وَرَسُولُ اللَّهِ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ (القضاء) اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ" قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لَا فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ قَالَ: الْحَبْرُ قُلْتُ: نَعَمْ الْحَبْرُ قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ مَا قُلْتَ وَتَفْعَلُ بِهِ مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثنتين

لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ ، وَلَا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا فَقَدِ اخْتَبَرْتُهُمَا فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فَقَالَ عُمَرُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَإِنَّكَ لَا تَسَعُهُمْ كُلَّهُمْ قُلْتُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فقال زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَآمَنَ بِهِ ، وَصَدَّقَهُ ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلًا غَيْرَ مدبرا".

**انتهت الخطبة**